قرآنيكا، مجلة عالمية لبحوث القرآن
عدد خاص (10)، أكتوبر 2023م. ص 146-182

© 2023 مركز بحوث القرآن
جامعة ملايا، ماليزيا

محمد الغزالي وتأثيرات الإتجاه العقلي والمذهبي في موقفه من القرآن والسنة (*)

سالم سعيد مانع اليحيائي[1]، علي علي جبيلي ساجد[2]

(Muhammad Al-Ghazali and the Effects of the Rational and Sectarian Approaches on his Attitude Toward the Qur'an and the Sunnah)

Salem Saeed Manea Alyahyaee, Ali Ali Gobaili Saged

ABSTRACT

The aim of this research is to introduce Mohammed Al-Ghazalī and his position in the modern rational school, explain the most prominent criticisms against him concerning his approach to dealing with the Qur'an and Sunnah, identify its origin and reasons for him. The research adopted the analytical inductive approach as well as the critical approach to achieve. The findings have revealed that Sheikh Al-Ghazalī is one of the followers of this school who are highly influenced by it. Despite his reverence for the Prophet's Sunnah, his recognition of its status, and his defense of it before its enemies and adversaries, he made many slips. The most important one is saying that Hadith is presumptive and rejecting it if it contradicts the absolute one. Another mistake is his call for the criticism of the texts by the jurists for the narrators' failure and their jurisprudential shortcomings, the call for applying his approach in refuting Āḥād (Hadith narrated by one) and criticizing the texts, even Hadith of the two books (Ṣaḥīḥs) in general,

(*) This article was submitted on: 02/12/2023 and accepted for publication on: 02/10/2023.

[1] طالب. دكتوراة، أكاديمية الدراسات الإسلامية، جامعة ملايا، ماليزيا.
Academy of Islamic Studies, University of Malaya
Email: sahm2882@gmail.com

[2] أستاذ دكتور بقسم القرآن والحديث، أكاديمية الدراسات الإسلامية، جامعة ملايا، ماليزيا.
Senior Lecturer, Department of Al-Quran and Al-Hadith, Academy of Islamic Studies, University of Malaya.
Email: saged@um.edu.my

and his haste sometimes in speaking against the trustworthy narrators and scholars. These slips are attributed to some subjective reasons concerning his poor background of hadith in the first place and the influence of his intellectual affiliation to the modern rational school and the Hanafi without controls or accurate scientific methodology. The most unfounded approach was saying that the Hadith should be presented or compared to the Qur'an before judgment, so it must be refuted - no matter how true it is - when it contradicts the indications of the Qur'an.

Keywords: *Al-Ghazalī, the Mental School, Attitude Toward the Sunnah, (Āḥād) Hadith Narrated by One, Criticism of the Text.*

ملخص

يهدف هذا البحث إلى التعريف بمحمد الغزالي وموقعه في المدرسة العقلية الحديثة، وبيان أبرز المؤاخذات عليه في منهجية تعامله مع القرآن الكريم السنة، والوقوف على منشئها وأسبابها عنده، وقد اتبع البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، والمنهج النقدي للوصول إلى النتائج، والتي كان من أهمها: أن محمد الغزالي من أتباع هذه المدرسة المتأثرين بها بشدة، وأنه مع إجلاله للسنة النبوية وإقراره بمكانتها، ودفاعه عنها أمام أعدائها وخصومها، إلا أنه وقع في مآخذ عديدة وأهمها: القول بظنية الآحاد، وردها إذا خالفت القطعي مطلقا. والدعوة إلى نقد المتون من قبل الفقهاء لتقصير المحدثين وقصورهم الفقهي بحسبه، والدعوة إلى تطبيق منهجه في رد الآحاد ونقد المتون حتى على أحاديث الصحيحين بشكل مطلق، ومسارعته أحيانا في الطعن والكلام على الرواة الثقاة والأئمة والعلماء. وكان منشأ هذه المآخذ عنده راجعة لأسباب ذاتية تتعلق بضعف تكوينه الحديثي أساسًا، وتأثيرات انتمائه الفكري للمدرسة العقلية الحديثة، وانتمائه المذهبي الحنفي. وكذلك أخذه بمناهج أصولية قديمة وتوسيعه لها، وإعماله لها غالبا بدون ضوابط ولا

منهجية علمية دقيقة، وكان أخطر هذه المناهج القول: بضرورة عرض الحديث على القرآن قبل الحكم، وأنه يرد – مهما صح – إذ خالف دلالات أو إيماءات القرآن القريبة أو البعيدة؟!. والدعوة إلى نقد متن الحديث من قبل الفقهاء وغيرهم، بل واشتراط الفقه فيمن يتصدى للحدكم على الحديث؟! وذلك ما لم يُسبق إليه الشيخ.

كلمات دالَّة: محمد الغزالي، المدرسة العقلية، الموقف من السنة، حديث الآحاد، نقد المتن.

1. مقدمة

تعرضت السنة النبوية منذ عصر الرواية لاتجاهات متباينة في دراستها، وكانت لهذه الاتجاهات دوافع سياسية واجتماعية وفكرية، أسهمت بدورها في بلورة تلك الأفكار، وأدت في النهاية إلى تباينها بشكل مؤثر، وتعتبر فرقة المعتزلة صاحبة الريادة في الدعوة إلى تحكيم العقل فيما خالف الشرع، وأفرز ذلك إنكار جزء كبير من السنة؛ مما أدى إلى تعطيل كثير من قضايا التشريع. ولم ندخل في العصر الحديث ابتداء من القرن التاسع عشر إلا وقد أفرزت الساحة الإسلامية هذه الأفكار في ثوب جديد، فظهرت فرقة "القرآنيون" بالهند، ومدرسة جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ورشيد رضا "المدرسة العقلية الحديثة". ثم ما زالت تتوالى وتتطور، حتى ظهر ممن تأثر بأفكار جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا، وممن يُعدون من تلاميذ تلك المدرسة: محمد الغزالي – رحمه الله – فكانت له مواقف مع السنة النبوية كانت محل جدل ولغط كبير، وتناول موقفه ومنهجه في التعامل مع السنة علماء وباحثون عديدون بين ناقد ومنافح على درجات وتفاوت في النقد والمنافحة، فجاء هذا البحث ليركز ويبرز ما رآى صاحباه أنه لم يُعط حقَّه من البحث والدراسة والإبراز.

وتظهر أهمية البحث وأهدافه في بيان منهج داعية ومفكر إسلامي من أهم دعاة ومفكري القرن الماضي في موقفه من السنة النبوية، وذلك من خلال:

1. بيان منهج المدرسة العقلية الحديثة وموقف أبرز رموزها وتلاميذها من السنة النبوية. وبيان موقع محمد الغزالي في هذه المدرسة.
2. إبراز منهج محمد الغزالي وما أخذ عليه في الموقف من السنة.
3. الوقوف على منشأ وأسباب وقوع الشيخ في المآخذ التي أخذت عليه في موقفه من السنة.

وتكمن مشكلة البحث أن محمد الغزالي رجل من كبار رجالات الفكر الدعوة الإسلامية في منتصف القرن العشرين، وله تأثير بارز في نفوس الكثير من المسلمين، وكانت له كتابات وإسهامات قوية في الدفاع عن الإسلام، وعن السنة النبوية، لكنه ألف كتباً رحمه الله تعالى فيها الكثير مما يهدم ما بناه رحمه الله تعالى، وكان له منهج في قبول السنة النبوية وردها، مما أنشأ تيارين تجاه منهجه هذا: تيار يخالفه ويرد على منهجه، ويعتبر منهجه مشابهًا لمنهج المدرسة العقلية، وآخر يوافقه ويتبنى ذلك المنهج.

فهذه دراسة تسعى إلى أن تتجرد عن التعصب؛ لبيان الحق في التعرف على منهج الشيخ رحمه الله تعالى، والوقوف على مواطن الخلل؛ ومنشأها وأسبابها؛ لتداركها ومعرفة الصواب للأخذ به، والاستفادة من نتاج الشيخ رحمه الله تعالى.

2. التعريف بالمدرسة العقلية الحديثة وموقفها من السنة النبوية.

1.2 التعريف بالمدرسة العقلية الحديثة

المدرسة العقلية الحديثة اسم يطلق على ذلكم التوجه الفكري الذي يسعى إلى التوفيق بين نصوص الشرع، وبين الحضارة والفكر الغربي المعاصر، وذلك بتطويع النصوص وتأويلها تأويلاً جديداً يتلاءم مع المفاهيم المستقرة لدى الغربيين. وتتفاوت رموز تلك المدرسة تفاوتاً كبيراً في موقفها من النص الشرعي، ولكنها تشترك في الإسراف في

تأويل النصوص: سواء كانت نصوص العقيدة، أو نصوص الأحكام، أو الأخبار المحضة، وفي رد ما يستعصي من تلك النصوص على التأويل بحسب نهجهم.

ونستطيع القول: إن من أهم سمات أصحاب هذا الاتجاه العقلي أنهم يقدمون العقل على النقل – نصوص الكتاب والسنة – فيقدمون العقل إما بِردّ ثبوت ذلك النص، أو إن لم يستطيعوا رده عمدوا إلى صرفه بدعوى التأويل وأنه يخالف العقل، وإن لم يجدوا للتأويل مساغا ردوه حتى لو كان ثابت الإسناد.[3]

2.2- صلة المدرسة العقلية الحديثة بالمعتزلة

أ. صلتها المنهجية بالمعتزلة:

هذه المدرسة العقلية الحديثة لم تنشأ دون أن يكون لها سلف ومرجعية تمثّلت في فرقة المعتزلة في تلقي المنهجية العقلية عنها، وفي المستشرقين كواسطة عقد في تلقّي بعض شبهاتهم ومطاعنهم – خاصة على السنة النبوية – ومن ثم تبنّيها وترديدها.

فالمعتزلة أول من خرق الإجماع الذي قبلهم بأن الأدلة أولها الكتاب، ثم السنة، ثم الاجماع، ثم يأتي العقل والاجتهاد في مرتبة تالية.[4] حيث جعلوا أول الأدلة هو العقل ثم تأتي الأدلة النقلية في مرتبة تالية عندهم. وكان منهجهم: أنهم يطرحون المسألة ثم يعرضونها على العقل – عقل أحدهم – فيستجمع لها الأدلة العقلية كما تتراءى له؛ لإثباتها على وجه من الوجوه العقلية، وحين يصل إلى نتيجةٍ ما يعمد إلى الأدلة النقلية – الكتاب والسنة – فيؤول ما كان من الكتاب أو المتواتر ما لا يتوافق

---

3 Al-'Awdah, Salmān Ibn Fahd (1989). *Ḥiwār Hādi' ma'a Muḥammad Al-Ghazālī*. Dār Al-Hijrah, p. 9; Al-Rumi, Fahd Ibn 'Abd Al-Raḥmān (1983). *Manhaj Al-Madrasah Al-'Aqlīyah Al-Ḥadīthah fī Al-Tafsīr*. Mu'assasah Al-Risālah, p. 7; and Aswad, Muḥammad 'Abd Al-Razzāq (2008). *Al-Ittijāhāt Al-Mu'āṣirah fī Dirāsah Al-Sunnah Al-Nabawīyah fī Miṣr wa Bilād Al-Shām* (Vol. 3). Dār Al-Kalim al-Ṭayyib, pp. 456-457.

4 Al-Qāḍī 'Abd Al-Jabbār Al-Mu'tazilī (2017). *Faḍl Al-I'tizāl wa Ṭabaqāt Al-Mu'tazilah wa Mubāyanatihim li Sā'ir Al-Mukhālifīn* (Fu'ād Sayyid, Ed.). Dār Al-Fārābi, p. 139.

مع نتيجته العقلية النظرية، أو يرده إن كان من الآحاد؛ بدعوى تناقضه مع العقل، أو أنه مبني على الظن[5].

ب. ما وافقت فيه المدرسة العقلية الحديثة المعتزلة:

1-كلاهما رفع مكانة العقل وقيمته، مما حدا بهما إلى تقديمه على النقل من الكتاب والسنة.

2- تأويل نصوص الكتاب والسنة بما يخدم العقل "إخضاع النقل للعقل".

3-اعتبار دليل خبر الواحد – ما دون المتواتر من السنة – ظنّيا، وبالتالي إمكانية رده إذا خالف العقل أو القرآن؛ مما حدا بهم إلى رد كثير من الأحاديث بحجة مخالفتها للعقل أو للقرآن حتى لو كانت في الصحيحين.

ومع ذلك لا يمكن اعتبار أتباع هذه المدرسة العقلية الحديثة معتزلةً، وتسميتهم به؛ لعدم قولهم بأصول المعتزلة الخمسة الشهيرة، وإنما انصبّت الموافقة في الغالب على عدد من أصولهم المنهجية مثل: دور العقل ووظيفته، وتقديمه على النقل، وتأويل النصوص الشرعية، وفكرة الحرية الإنسانية، وما أشبه ذلك.[6]

وقد ذكر الدكتور الذهبي – وهو ممن تناولوا هذه المدرسة باعتدال وإنصاف كبير – أن هذه المدرسة أعطت للعقل حرية واسعة في تأويل الحقائق الشرعية التي أتت في القرآن الكريم؛ متبعة في ذلك منهج المعتزلة في بعض عقائدها ومواقفها من النصوص هو: الطعن فيها وردها تارة بدعوى الوضع، أو الضعف، مع كونها من أحاديث الصحيحين، كما أن هذه المدرسة لم تأخذ بأحاديث الآحاد الصحيحة الثابتة، فى كل ما هو من قبيل العقائد، أو من قبيل السمعيات، مع أن أحاديث الآحاد فى هذا الباب كثيرة لا يُستهان بها.[7]

---

5 Aswad (2008). *Al-Ittijāhāt Al-Mu'āṣirah*, pp. 469-470.

6 Aswad (2008). *Al-Ittijāhāt Al-Mu'āṣirah*, pp. 469-470.

7 Al-Dhahabī, Muḥammad Ḥusayn (n.d.). *Al-Tafsīr wa Al-Mufassirūn* (Vol. 2). Maktabah Wahbah, p. 402.

3.2 تأثير المستشرقين على المدرسة العقلية الحديثة في الموقف من السنة[8]

يعد المستشرقون هم أول من عمل على إحياء الفرق الإسلامية البدعية المندثرة، والتنويه بها وبأفكارها ومناهجها، ومن أهم وأشهر الفرق البدعية التي نالها نصيب وافر من التنويه والمديح من قبل المستشرقين فرقة المعتزلة، وقد أطلقوا عليهم اسم "المفكرين الأحرار في الإسلام"، ووصفوهم بأنهم: "دعاة الحرية الفكرية والاستنارة".

وقد باركوا وجهة المعتزلة في موقفهم من السنة، ورأوا أن وجهتهم في رد الأحاديث الصحيحة بالعقل هي الوجهة الصحيحة التي يجب أن تُناصر وتُؤيد ضد المتشددين الحرفيين الجامدين على النصوص بزعمهم، فهم أهل العقل الحر، والمنهج القويم الذي يجب أن يبقى ويستمر، يقول عميد المستشرقين (**جولد تسيهر**):" أما فيما يختص بالحديث فإن المعتزلة كانوا يملكون تحت تصرفهم الوسيلة لرفض الأحاديث التي يلوح منها ما لا يصح.. وهذه الوسيلة هي الطعن فيها بعدم الصحة.."[9].

وقد وُجد في المسلمين من هذه المدرسة العقلية المعاصرة من سار على منهج المستشرقين في الاحتفاء بالاعتزال والمعتزلة بإطلاق، ومنهم: أحمد أمين، وإبراهيم مدكور، وزكي نجيب محمود، وكذلك في تلقف مطاعن المستشرقين وشبههم حول السنة النبوية، وقد خلص كثير من الباحثين إلى أن شبه ومطاعن بعض أتباع هذه

---

8 Khalaf, Najm ‘Abd Al-Raḥīm (1989). *Naqd Al-Matan bayna Ṣinā’ah Al-Muḥaddithīn wa Maṭā’in Al-Mustashriqīn*. Maktabah al-Rushd; Al-‘Umri, Akram Ḍiyā’ (n.d.). *Mawqif Al-Istishrāq min Al-Sunnah Al-Nabawīyah*; and Al-Amīn, Al-Ṣādiq (1998). *Mawqif Al-Madrasah Al-‘Aqlīyah min Al-Sunnah Al-Nabawīyah*. Maktabah al-Rushd.

9 Aswad (2008), *Al-Ittijāhāh Al-Mu’āṣirah*, p. 468.

المدرسة العقلية الحديثة ضد السنة النبوية هي مجرد ترديد وإعادة ترويج لمطاعن وشبه المتشرقين ضدها.[10]

وقد صرح بأخذ تلك الشبه والمطاعن عن المستشرقين أحد أهم تلاميذ هذه المدرسة العقلية، وأحد أوائل من رددوا مطاعن وشبهات المستشرقين حول السنة النبوية، وهو (**أحمد أمين**) كما بين ذلك الشيخ السباعي.

وقد كان من أشهر مطاعن وشبه المستشرقين حول السنة: –**أن تأخر تدوين الحديث أدى إلى كثرة الوضع والكذب. – أن المحدثين اعتنوا بالسند أكثر من المتن، ولا يبلغ عنايتهم بالمتن عشر عنايتهم بالسند. – التشكيك في أبي هريرة رضي الله عنه وفي حفظه.** هذه كانت أشهر مطاعن وشبهات المستشرقين التي ضمّنها أحمد أمين في كتبه دون الإشارة إليهم، أو نسبتها إليهم؛ تدليسًا وتغريرًا.

يقول السباعي في بيان ذلك:" ولما ثار النقاش في الأزهر حول الإمام الزهري عام 1360هـ[11] قال الأستاذ أحمد أمين للدكتور علي حسن عبد القادر – وهو الذي أثيرت الضجة حوله –: «إن الأزهر لا يقبل الآراء العلمية الحرة، فخير طريقة لبث ما تراه مناسبًا من أقوال المستشرقين ألا تنسبها إليهم بصراحة، ولكن ادفعها إلى الأزهريين على أنها بحث منك، وألبسها ثوبا رقيقا لا يزعجهم مسُّها، كما فعلت أنا في "**فجر الإسلام**" و"**ضحاه**"!!. هذا ما سمعتُه من الدكتور علي حسن يؤمئذ نقلًا عن الأستاذ أحمد أمين.."[12].

---

10 Al-Amīn (1998). *Mawqif Al-Madrasah* (Vol. 2), p. 286 wa mā ba'dahā, ḥaythu tawallā fī dirāsatihi arḍ mawqif Al-Mu'tazilah, thumma Al-Mustashriqīn, thumma Al-Madrasah Al-'Aqlīyah Al-Mu'āṣirah min Al-Sunnah Al-Nabawīyah.

11 Al-'Umarī (n.d.). *Mawqif Al-Istishrāq*, p. 74.

12 Al-Sibā'ī, Muṣṭafa Ibn Ḥusnī (1982). *Al-Sunnah wa Makānatuhā fī Al-Tashrī' Al-Islāmī*. Al-Maktab Al-Islāmī, p. 238.

4.2 أهم رواد هذه المدرسة وآرائهم في الاتجاه العقلي والموقف من السنة

أ- رائد المدرسة ومنشئِها جمال الدين الأفغاني (ت1897م)[13]:

هو أول من دعا إلى الاهتمام بالقرآن وحده، وعدم الالتفات إلى التفاسير القديمة إلا على سبيل الاستئناس، وفي موقفه من السنة والإجماع وعلاقتهما بالقرآن وفهمه يقول:"فالتواتر، والإجماع، وأعمال النبي المتواترة إلى اليوم – أي السنة العملية المتواترة كعدد الركعات – هي السنة الصحيحة التي تدخل في مفهوم القرآن وحده، والدعوة إلى القرآن وحده"، ويفهم من هذا عدم اعتداد الأفغاني بأحاديث الآحاد، والتي ستكون من سمات هذه المدرسة بشكل صريح وواضح بدءًا من تلميذه الشيخ محمد عبده –كما سيأتي –

كما ظهر منهجه في تأويل الآيات بمجرد النظر العقلي، ومحاولة تطويعها مع المفاهيم المعاصرة بشكل متعسّف، ومن شطحاته في ذلك: تفسيره تسخير الرياح لسليمان عليه السلام بطائرات مثلًا، وسرعة نقل الأخبار والأشياء عنده عليه السلام بالتلغراف واللاسلكي مثلا.

وأما أخطر شطحاته في التفسير فهو كونه يُعَدُّ ربما أول منتسب للعلم من المسلمين الذي أجازوا: "الربا المعقول الذي لا يُثقل كاهل المديون، ولا يتجاوز في برهة من الزمن رأس المال، ويصير أضعافا مضاعفة"؛ مستندا إلى أن المحرم من الربا في القرآن هو ما كان أضعافا مضاعفة؟!

ب- الشيخ محمد عبده (ت 1905م):

هو تلميذ جمال الدين الأفغاني، وهو صاحب المدرسة العقلية الحديثة، ويعتبر الأب الروحي للمدرسة، وهو الذي أقام صروحها ودعا إليها، ونشرها بين الناس، فكان بحق هو صاحبها وأستاذها وإمامها، فكان له الأثر فيها ما لم يكن لأستاذه الأفغاني، وإن كان أخذه لها في الأصل من الأفغاني الذي وجهه هذه الوجهة العقلية

13 Al-Rūmī (1983). *Manhaj Al-Madrasah*, p. 86-87.

والأخذ بمنهج المعتزلة. وكانت دعوته تتمثل في تأسيس الاعتقاد على العقل، ونبذ التقليد والدعوة للاجتهاد، والتأويل العقلي للنصوص، والمواءمة بين الإسلام ومتطلبات العصر. يقول أنور الجندي – وهو من المعجبين بالأفغاني ومحمد عبده –:"وإذا كان جمال الدين الأفغاني هو أول من فتح باب المنطق والفلسفة في الفكر العربي الحديث؛ بحسبانه طريقا إلى الدفاع عن الإسلام في مواجهة الفلسفات الحديثة على نفس المنهج الذي اتخذه المعتزلة، فإن محمد عبده هو الذي عمَّق هذا الاتجاه حتى أُطلق عليهما اسم"**معتزلة العصر الحديث**."[14]

يقول الدكتور الذهبي عن المنهج العقلي لدى محمد عبده:"وإذا كان الأستاذ الإمام قد أعطى لعقله الحرية الكاملة فى تفسيره للقرآن الكريم، فإنَّا نجده يُغرِق فى هذه الحرية، ويتوسع فيها، إلى درجة وصلت به إلى ما يشبه التطرف فى أفكاره، والغلو فى آرائه"[15]، ولمحمد عبده مقولة شهيرة في هذا الشأن حيث يقول: "اتفق أهل الملة الإسلامية[16]إلا قليلا ممن لا ينظر إليه، على أنه إذا تعارض العقل والنقل أُخذ بما دل عليه العقل..."[17]، ومن تطبيقاته لمنهجه العقلي: رده لحديث:{كل بنى آدم يمسُّه الشيطان يوم ولدته أُمه إلا مريم وابنها..} وهو في الصحيحين؛ بدعوى بأن موضوعه عالم الغيب، وهو من العقائد وهي لا تؤخذ من الظنون، وهذا حديث آحاد يفيد الظن. [18]، يقول الشيخ الذهبي في هذا:" فهو لا يثق بصحة الحديث رغم رواية الشيخين له، ثم يتخلص من إرادة الحقيقة – على فرض الصحة – بجعل الحديث من

---

14 Al-Jundī, Anwar (1978). *Al-Yaqaẓah Al-Islāmīyah fī Muwājahah Al-Isti'mār*. Dār Al-I'tiṣām, p. 131-132.

15 Al-Dhahabī (n.d.). *Al-Tafsīr wa Al-Mufassirūn* (Vol. 2), p. 417.

16 Ṭab'an lā ṣiḥḥah li ḥādhā al-raghm, wa innamā huwa madhhab li Al-Mutakallimīn wa Al-Mu'tazilah -kamā saya'tī-.

17 Imārah, Muḥammad (1993). *Al-A'māl Al-Kāmilah li Imām Al-Shaykh Muḥammad 'Abduh* (Vol. 3). Dār Al-Shuruq, p. 301.

18 Rashīd Riḍā, Muḥammad Rashīd Ibn 'Alī Riḍā (1990). *Tafsīr Al-Manār: Tafsīr Al-Qur'ān Al-Ḥakīm* (Vol. 3). Al-Hay'ah Al-Miṣrīyah Al-'Āmmah li Al-Kitāb, p. 240.

باب التمثيل، وهو ركونٌ إلى مذهب المعتزلة الذين يرون أن الشيطان لا تَسَلُّط له على الإنسان إلا بالوسوسة والإغواء فقط."[19]، وقد نقل أبو رية عن الشيخ محمد عبده أنه كان لا يقبل أي حديث من الآحاد يخالف العقل، أو القرآن، أو العلم مهما بلغت درجته من الصحة؟![20].

وقد أكد الذهبي ذلك، وبيّن أن محمد عبده وأتباعه لا يفرقون بين البخاري وغيره في رد الآحاد، وأن حديث مس الشيطان لابن مريم وأمه عليه السلام ليس الوحيد الذي يضعّفه أو يتخلّص منه بأنه رواية آحاد، بل هناك كثرة من الأحاديث نالها هذا الحكم القاسى[21].

ت- الشيخ رشيد رضا (ت 1935م):

يعد أهم وأبرز تلاميذ محمد عبده، وناشر منهجه وأفكاره من خلال مجلته الشهيرة (مجلة المنار) التي أسسها لمواصلة منهج مجلة الأفغاني ومحمد عبده (مجلة العروة الوثقى)، يقول عنه الشيخ الذهبي:" إن الشيخ رشيد هو الوارث الأول لعلم الأستاذ الإمام، إذ أنه أخذ عنه فوعى ما أخذ، وألَّف فى حياته وبعد وفاته، فكان لا يحيد عن منهجه أو ينحرف عن أفكاره. وليس غريباً ما يرويه الشيخ رشيد من أن الأستاذ الإمام – رحمه الله – كان يقول: "**صاحب المنار ترجمان أفكارى**". كما أنه ليس غريباً ما يُحَدِّث به أحد تلاميذ الشيخ رشيد، من أن الأستاذ الإمام وصف الشيخ رشيد بأنه "**متحد معه فى العقيدة، والفكر، والرأى، والخُلُق، والعمل**"[22].

ومع ذلك يعتبر من المستغرب اشتهاره بوصف السلفية!! لا لشيء سوى لكون بعض تلاميذه كانوا من أتباع هذه المدرسة السلفية: كالشيخ الفقي، والشيخ أحمد شاكر، ولإعجابه الشديد بابن تيمية وتلميذه ابن القيم وأئمة الاتجاه السلفي،

---

19 Al-Dhahabī (n.d.). *Al-Tafsīr wa Al-Mufassirūn* (Vol. 2), p. 422.

20 Aburiyah, Maḥmūd (n.d.). *Aḍwā' 'ala Al-Sunnah Al-Nabawīyah*. Dār al-Ma'ārif, p. 350.

21 Al-Dhahabī (n.d.). *Al-Tafsīr wa Al-Mufassirūn* (Vol. 2), p. 422.

22 *Ibid.*, p. 423.

وموافقته لهم في كثير من الآراء، إلا أنه – إضافة إلى ما سبق من مكانته في مدرسة محمد عبده – توجد له أقوال مباينة تماما للمنهج السلفي، ويتبع فيها المنهج العقلي، كعدم حجية أحاديث الآحاد في إثبات العقائد، حيث يقول :"أصول العقائد وقضايا الإيمان التي يكون بها المرء مؤمنا..لا يتوقف شيء منها على أحاديث الآحاد"[23]، ويقول أيضا:" التفرقة بين ما ثبت بنص القرآن من الأحكام، وما ثبت بروايات آحاد وأقيسة الفقهاء ضرورية، غير أن من يجحد ما جاء في القرآن الكريم يحكم بكفره، ومن يجحد غيره ينظر في عذره! ...ولا يَعُدّ أحدٌ ذلك عليهم خروجا من الدين، حتى من لا عذر له في التقليد"[24]، وهذا جريٌ وسيرٌ منه على منهج المعتزلة والمتكلمين ومنهج شيخه، وقد نقل محمد الغزالي هذه المقولة عنه مقرا ومستشهادا بها.[25] وقد أوضح الذهبي بأن صرف بعض الآيان عن حقيقتها إلى دعوى المجاز أو التشبيه؛ فرارا من الحقائق التي يصرح بها القرآن كمسلك الزمخشري وغيره من المعتزلة هو ما سلكه صاحب المنار وشيخه[26].

5.2- أهم الملامح الفكرية والمنهجية لهذه المدرسة العقلية الحديثة

أ- أهم الملامح الفكرية والمنهجية للمدرسة العقلية الحديثة بحسب محمد الغزالي نفسه:

أوضح محمد الغزالي أهم ملامح هذه المدرسة بما يلي:[27]

1. قيامها على النقل، مع ترويجها للعقل وجعله أصلًا للنقل.

---

23 Annonymous (n.d.). Majmūʻah min al-Kitāb wa ʻala Ra'sihim Rashīd Riḍā wa Ghayrihi min Al-Kitāb wa Al-Muallifīn. *Majalah Al-Manār*, 19 (Vol. 25). 19/29.

24 Rashīd Riḍā (1990). *Tafsīr Al-Manār* (Vol. 3), p. 94.

25 Al-Ghazālī, Muḥammad (2001). *Al-Sunnah Al-Nabawīyah bayna Ahl Al-Fiqh wa Ahl Al-Ḥadīth*. Dār Al-Shuruq, p. 75.

26 Aswad (2008). *Al-Ittijāhāt Al-Muʻāṣirah*, p. 468.

27 Al-Ghazālī, Muḥammad (n.d.). *Dustūr Al-Waḥdah Al-Thaqāfīyah*. Dār Al-Shuruq, p. 65.

2. تقديم القرآن على السنة، وجعل إيماءات القرآن أولى بالأخذ من أحاديث الآحاد.
3. رفض القول بأن في القرآن نسخًا، أو أن هناك نصوصًا من القرآن انتهى أمدها.
4. إنكار التقليد المذهبي – مع احترام علم الأئمة – وجعل المذاهب الفقهية فكرًا إسلاميا ينتفع به، ولكنه غير ملزم.

ب- سمات وملامح هذه المدرسة في التعامل مع السنة بحسب دراسة نقدية.

أهم خصائص وسمات هذه المدرسة في الموقف من السنة في الأساس هو أنه لم يُعرف عنهم التخصص في دراسة السنة، والتمييز بين صحيحها من ضعيفها؛ مما أدى بهم إلى:

1. تبني غالبيتهم للقول بظنية أخبار الآحاد، وعدم الاعتماد عليها في إثبات مسائل العقيدة، أو حتى الأحكام الفقهية – عند بعضهم – والأعجب حكايتهم الإجماع على ذلك.
2. على المستوى العملي جرأة كثير منهم في رد الأحاديث أو تأويلها حتى لو كانت في الصحيحين واتفق المحدثون على صحتها، فصحة السند عندهم غير كافية للحكم بثبوت الحديث، بل لا بد من عرض متنه على القرآن الكريم، وعلى موزاين العقل البشري، فردوا كثيرًا مما صح[28].

وبعد التعرف على أهم ملامح وخصائص وسمات هذه المدرسة العقلية من قبل الشيخ نفسه، ومن قبل دراسة متخصصة ناقدة؛ فإننا لن نجد أنفسنا متجنّين أو متعسّفين إن وصلنا إلى نتيجة واضحة بأن: الشيخ كان – في كثير من مواقفه من

[28] Aswad (2008). *Al-Ittijāhāt Al-Mu'āṣirah*, pp. 474-475.

السنة النبوية – متمثِّلًا لهذه الملامح والسمات، وهو مع كونه من غير المتخصصين من أهل الشأن في علم الحديث، لكن كانت لديه الجرأة الكبيرة في رد الأحاديث الصحيحة الثابتة؛ لتأويلات استند إليها، وأسباب أدت به إلى ذلك – كما سيأتي بيانه في المبحث الثاني–.

3. التعريف بمحمد الغزالي وبموقعه في المدرسة العقلية الحديثة. وتحته فرعان.

1.3– السيرة الذاتية للشيخ الغزالي

أ– **حياته الشخصية:**

ولد رحمه الله تعالى في قرية (نكلا العنب، ايتاي البارود) محافظة البحيرة بمصر في 5 من ذي الحجة 1335هـ/ 22 سبتمبر 1917م. ونشأ في أسرة متدينة وله خمسة إخوة هو أكبرهم، فأتم حفظ القرآن بكُتّاب القرية في العاشرة من عمره، وبعد إتمام الثانوية التحق بكلية أصول الدين بالأزهر، وانضم إلى جماعة الإخوان المسلمين، وتأثر بمؤسسها حسن البنا، وبدأت كتابته في مجلة (الإخوان المسلمون)، أثناء دراسته بالسنة الثالثة في الكلية، حتى تخرجه سنة 1941م، وتخصص بعدها في الدعوة والإرشاد حتى حصل على درجة العالمية سنة 1943م وعمره ستة وعشرون عامًا، بدأت بعدها رحلته في الدعوة في مساجد القاهرة.

وقد تلقى العلم عن الشيخ عبد العظيم الزرقاني، والشيخ محمود شلتوت، والشيخ محمد أبو زهرة، والدكتور محمد يوسف موسى، وغيرهم من علماء الأزهر. اعتقل الغزالي مع من اعتقلوا بعد حلّ جماعة الإخوان المسلمين سنة 1948م وأُودع في معتقل الطّور. وبعد سنة 1952م نشب خلاف بين الغزالي وحسن الهضيبي المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين الثاني، وفُصل على إثره الغزالي من الجماعة[29].

---

[29] Al-Sirjānī, Rāghib (2010). Muḥammad Al-Ghazālī Al-Dā'iyah Al-Mujāhid, *Islam Story*, https://islamstory.com.

ب- **مكانته العلمية:**

لقد حمل محمد الغزالي لواء الدعوة والتوجيه منذ فجر حياته ومطلع شبابه، حيث حاول إيصال فهم الإسلام بصورته الشمولية للمجتمع، وألف ودعا إلى إصلاح الواقع المعوَجّ بمنهج الإسلام الشامل، وصد كيد أعداء الدين.

قال عنه الدكتور يوسف القرضاوي: "والحق أن هذه الدراسة – أي دراسته وكتابه المطول عنه – أثبتت أننا أمام قائد كبير من قادة الفكر والتوجيه، وإمام فذّ من أئمة الفكر والدعوة والتجديد، بل نحن أمام مدرسة متكاملة متميزة من مدارس الدعوة والفكر والإصلاح"[30].

أما المفكر الدكتور محمد عمارة فيقول عنه: "لقد أدركت – وأنا الذي سبق ودرست الآثار الفكرية لأكثر من ثلاثين من أعلام الفكر الإسلامي، وكتبت عنهم الكتب والدراسات – أدركت أنني حيال محمد الغزالي لست بإزاء مجرد داعية متميز، أو عالم من جيل الأساتذة العظام، أو مؤلف غزير الإنتاج، أو مفكر متعدد الاهتمامات، أو واحد من العاملين على تجديد فكر الإسلام لتتجدد به حياة المسلمين.. أدركت أنني بإزاء جميع ذلك، وأكثر منه وأهم"[31]. وقد حصل على العديد من الأوسمة والجوائز أهما: جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام عام 1989م.

ت- **وفاته:**

توفي يوم السبت 20 شوال 1416 هـ الموافق 9 مارس 1996م في الرياض أثناء مشاركته في (المهرجان الوطني للتراث والثقافة "**الجنادرية**")، ودفن بمقبرة البقيع بالمدينة المنورة. حيث كان قد صرح قبله بأمنيته أن يدفن هناك، رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وأسكنيه فسيح جنته.

---

30 Al-Qaraḍāwī, Yūsuf (2000). *Al-Shaykh Al-Ghazālī kamā 'Araftuhu Riḥlah Niṣf Qarn*. Dār al-Shuruq, p. 295.

31 Imārah Muḥammad (1992). *Al-Shaykh Muḥammad Al-Ghazālī Al-Mawqi' Al-Fikrī wa Al-Ma'ārik Al-Fikrīyah*. Al-Hay'ah Al-Miṣrīyah Al-'Āmmah li Al-Kitāb, p. 24.

2.3- ما موقع محمد الغزالي في هذه المدرسة العقلية الحديثة؟

أ- تقييم محمد الغزالي لهذه المدرسة وموقعه فيها:

الشيخ فيما يبدو كان يرى هذه المدرسة أنها امتداد لمدرسة الرأي الفقهية القديمة في مقابل مدرسة الأثر، حيث يقول في التعريف بالمدرسة العقلية الحديثة وبرموزها وأهم ملامح منهجها – بعد أن عَرض لمدرستي الأثر والرأي القديمة – يقول:"..وهناك مدرسة أخرى أقرب إلى مدرسة الرأي، وإن كان عنوانها سلفيا هي: مدرسة الشيخ محمد عبده وتلميذه رشيد رضا ويتبعهما الشيخ محمود شلتوت... ثم ذكر أنه من البديهي أن توجد اجتهادات لهؤلاء الرجال فيها أخطاء، وضرب منها أمثلة: كتفسير محمد عبده للملائكة، وتبرم الشخ أبو زهرة من حكم الرجم..ثم قال:"..وإن وجود هَنات في رأي هذا أو سيرة ذاك لا تهدم عبقريته أو تخدش تفوقه إن كان صاحب عبقرية وتفوق"[32]، ويقول أيضا:"والشيخ رشيد وأستاذه محمد عبده، وزعيمه جمال الدين من أعمدة اليقظة الإسلامية في هذا العصر...إن الرجال الثلاثة: جمال الدين ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا هم قادة الفكر الواعي الذكي في القرن الأخير. والنقيق العالي الذي يثور ضدهم هو من أشخاص علمهم بالإسلام سطحي، ودفاعهم عنه دفاع الدبة التي قتلت صاحبها"[33].

وهو ينسِب نفسه بشكل صريح لهذه المدرسة حيث يقول:" "اطلعت على مجلة أُحبها فقرأت فيها لمزًا للأديب الحر المصلح عبدالرحمن الكواكبي، وتفسيقًا لرجلين من بناة النهضة الإسلامية الحديثة، وأنا أحد تلامذة (المنار) وشيخِها محمد رشيد، وأستاذه الشيخ محمد عبده"[34].

كما أنه في نفس الوقت يرى أن هذه المدرسة تحمل الفكر السلفي الأصيل؟!ف:"جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا كانوا ينصرون الإسلام

---

32 Al-Ghazālī (n.d.). *Dustūr Al-Waḥdah*, p. 65.

33 Al-Ghazālī, Muḥammad (n.d.). *'Ilal wa 'Adawiyah*. Dār Al-Shuruq, pp. 86-90.

34 *Ibid.*, p. 70.

حين يذكّرِون بالشورى.. بل كانوا يعالنون بسلفيتهم؛ إذ إن السلفية فيما يعلم أولو الألباب شيء آخر غير إحفاء الشوارب"[35]، ولئن قُبل هذا الكلام في سلفية بعض هؤلاء – وبدون تسليم أيضًا – كالشيخ رشيد رضا، فلا نعلم ما مستند الشيخ ومُتمسّكه في عد الأفغاني ومحمد عبده من السلفيين المعلنين سلفيتهم؟!

ويبالغ جدًّا في الثناء على محمد عبده وأثر مدرسته في الأمة فيقول: ".. فقد مضى الرجل في طريقه بقوة، ونشأ عن حركته ازدهار علمي وأدبي وسياسي نقل الأمة الإسلامية إلى طور آخرمن أطوار الحياة والكفاح لم تشهده من ألف عام...أكان الاستعمار الصليبي أو الشيوعي يترك هذا السيل إلى مداه؟ إن شتم جمال الدين ومحمد عبده ورشيد رضا لا يعنينا لو كان تجريحا شخصيا، إنه محاولة للقضاء على نهضة أمة ورسالة دين؟"[36]، فقد بلغ به الغلو في مكانة محمد عبده أن جعله ناقلًا للأمة من طور إلى طور لم تشهده ابتداء من القرن ال4 إلى ال13؟! وهي ألف عام ظهر فيها أئمة مجددون وعظماء في كل المجالات العلمية والسياسية وغيرها: كالأئمة الطبري والطحاوي والغزالي وابن تيمية والنووي وابن حجر، وصلاح الدين، ومحمد الفاتح..وغيرهم كثير.

وهو يجعل مدرستهم الفكرية والمنهجية الأساس الأوحد الذي يجب أن تقوم عليه الصحوة فيقول:"والذي أراه أن مدرسة المنار هي المهاد الأوحد للصحوة الإسلامية الحاضرة، وعلى الذين يرفعون القواعد من هذا المهاد أن يتجنبوا بعض الهنات التي فات فيها الصواب إمامنا الكبير، فما نزعم عصمة له أو لغيره."[37]، وقد سبق نقل إقرار الشيخ لتفريق رشيد رضا بين من ينكر حكما ثبت بالقرآن فيحكم بكفره، وبين من ينكر حكما ثبت بالسنة فيحكم بعذره، هكذا بإطلاق؟!

---

35 Al-Ghazālī, Muḥammad (n.d.). *Al-Ghazw Al-Thaqāfi Yamtaddu fī Farāghinā.* Dār Al-Shuruq, p. 36.

36 *Ibid.*, p. 93.

37 Al-Ghazālī (n.d.). *'Ilal wa Adawiyah,* p. 91.

ب- تصنيف بعض محبيه وبعض الباحثين المعاصرين لموقع الشيخ في هذه المدرسة:

مع كفاية تصريح الشيخ بانتمائه لهذه المدرسة وثنائه البالغ الباذخ عليها، إلا أننا نضيف إلى ذلك تصريحَ وعدَّ عدد من محبي الشيخ والذابّين عنه كونه من أتباع هذه المدرسة ومنهم: الدكتور محمد عمارة يقول عن مدرسة الأفغاني:"هي بحق مدرسة الجامعة الإسلامية،كان روادها الشيخ محمد الغزالي، ومن قبلِه الإمام محمد عبده والكواكبي والمراغي"[38]. ومنهم صاحب دراسة (جهود محمد الغزالي في الحديث والفقه) حيث نقل – مرجحًا ومختارًا لهذا الرأي – بأن هناك عددا من الباحثين يعدون الشيخ منتميًا فكريًّا إلى هذه المدرسة العقلية الحديثة والتي سماها ب"مدرسة التجديد والإصلاح"، والتي جعل تسلسل روّادها كالتالي: الأفغاني، ثم محمد عبده، ثم رشيد رضا، ثم حسن البنا..وختم بأن: "محمد الغزالي يعتبر من أعلام هذه المدرسة"[39]، وهناك من لا يوافق على هذا القول، بل يعده من المتأثرين بهذه المدرسة، والتي عدّد فيها جملة كبيرة من العلماء والمفكرين في العالم الإسلامي[40].

ويرى الباحثان أن الشيخ وإن كان يصعب عدُّه من أعلام المدرسة العقلية المعاصرة، إلا أنه كذلك لا يصح أن يُعد من مجرد المتأثرين بشكل يسير، بل هو يوافق هذه المدرسة في بعض أصول منهجهم، وفي كثير من التطبيقات في التعامل مع السنة النبوية –كما سيأتي في المبحث التالي –

ويجدر بنا التنبيه هنا: في أن هذه المدرسة شأنها شأن غالب الاتجاهات والمذاهب الفكرية والعقدية حيث تبدأ أفكارها غالية ومتطرفة عند روادها، ثم يحدث تخفيف من غلوائها، واتجاه إلى الاعتدال عند بعض أتباعها؛ نتيجة لأسباب عديدة

---

38 Al-'Affānī, Sayyid Ibn Ḥusayn (2006). *Riyāḍ Al-Jannah fī Al-Radd 'ala Al-Madrasah Al-'Aqlīyah wa Munkari Al-Sunnah*. Dār Al-'Affānī, p. 9.

39 Ibrāhīm, Mas'ūd Ṣabrī (2004). *Juhūd Al-Shaykh Muḥammad Al-Ghazālī fī Al-Ḥadīth wa Al-Fiqh*. Jāmi'ah Al-Kāherah Kulīyah Dār Al-'Ulūm, p. 551-552.

40 Aswad (2008). *Al-Ittijāhāt Al-Mu'āṣirah*, p. 483-485.

أهمها: الوقوف على انتقادات الخصوم والمخالفين، والسجالات والردود معهم، ومعرفة مواقع الخلل والضعف في المذهب والتوجه من ناحية التنظير أو التطبيقات، وهذا ما نجده في هذه المدرسة: فأفكار الأفغاني وتلميذه محمد عبده – وخاصة تلميذه – كانت متّسمة بنوع من الغلو والتطرف في الاعتداد بالعقل في مقابل النقل، ولكن أفكار ومواقف رشيد رضا هي أقل منهما غلوا نوعا ما، وكان أكثر قربًا وتعاملا مع السنة ومع الاتجاه السلفي، ثم نرى محمد الغزالي – مقارنة بهولاء الرواد – أقل غلوًّا وشططًا.

4. منهج محمد الغزالي في التعامل مع القرآن الكريم:

كان محمد الغزالي رحمه الله يعتقد أن القرآن الكريم هو "قطب الإسلام، ومنبع شرائعه، والدستور الذى يقتعد الصدارة فيما يضم من توجيه وأدب، ووصايا وأحكام، وقد تضمن أصول الإسلام"[41]، كما صرح وأكد أن القرآن الكريم هو "المصدر الأول لتعليم الاسلام هو القرآن الكريم وهو من المصادر الأخرى بمنزلة الجذع من فروع الشجرة وثمارها"[42]، ولهذا اعتمد الغزالي القرآن الكريم أساس فكره الإصلاحي والدعوي، قال القرضاوي رحمه الله "القرآن الكريم هو المصدر الأول لفكر الشيخ الغزالي الدَّعَوِي وَالإِصْلاَحِي، وَالسُنَّةُ هي المصدر الثاني. فهو يعتبر السُنَّةَ ضرورة لفهم القرآن، فهي الشرح النظري، والتطبيق العملي له"[43]، ويتلخص منهجه في التعامل مع القرآن الكريم في النقاط الآتية:

1.4– البراءة من القرآنيين الذين ينكرون السُّنة تكئة على القرآن الكريم وحده:

وإنما كان يؤمن بالقرآن والسنة، ويقدم القرآن على السنة بلا شك، "ولقد شَدَّدَ النَّكِيرَ في أكثر من كتاب له على الذين يزعمون الاستغناء بِالسُنَّةِ عن القرآن

41 Al-Ghazālī, Muḥammad (n.d.). *Laysa min Al-Islām*. Dār Al-Shuruq, p. 27.

42 Al-Ghazālī (n.d.). *Laysa min Al-Islām*, p. 26.

43 Al-Qaradāwī, Yūsuf Abd Allāh (1994), *Mawqif al-Shaykh al-Ghazālī min al-Sunnah al-Nabawīyah*, Majallat Markaz Buhūth al-Sunnah wa-al-sīrah 8, p.377.

مُسَفِّهًا رِأْيَهُمْ، وَمُضَلِّلاً اتِّجَاهَهُمْ. كما حمل في الوقت نفسه على الذين يخوضون في السُنَّةِ، ويتحدثون عنها، دون أن يعايشوا القرآن ويضربوا في معرفته بسهم وافر"[44].

وأكد سلمان العودة حفظه الله في كتابه (حوار هادئ مع الغزالي) أن محمد الغزالي يؤمن بالسنة ووجوب الأخذ بها، ويرد على منكريها، الذين يسمون أنفسهم بالقرآنيين، وهم أولئك الذين يرفضون السنة[45].

4-2. فهم القرآن الكريم من خلال السنة المطهرة: انطلق محمد الغزالي رحمه الله في فهم القرآن الكريم من خلال السنة النبوية الشريفة، وصرح بذلك النهج القويم قائلا "إن فهم القرآن لا يتم إلا بمعرفة السُنَّةِ، وفهم السُنَّةِ لا يصح إلا بمعرفة المناسبات الحكيمة التى سيق من أجلها التوجيه النبوي، وإذا لم تكن لدينا إحاطة شاملة بالأزمنة والأمكنة والوقائع التى أرسلت فيها هذه الأحاديث، فقد تكون في الإحاطة بجملة السنن عوض يسد هذا النقص"[46].

وهذا المنهج ينطلق من ركيزتين:

الركيزة الأولى: أن السنة هي الترجمة العملية والتطبيق الأسمى للقرآن الكريم، قال محمد الغزالي رحمه الله ""وَالقُرْآنُ هُوَ قَانُونُ الإِسْلاَمِ، وَالسُنَّةُ هِيَ تَطْبِيقُهُ، وَالمُسْلِمُ مُكَلَّفٌ بِاحْتِرَامِ هَذَا التَّطْبِيقِ تَكْلِيفَهُ بِاحْتِرَامِ القَانُونِ نَفْسَهُ، وَقَدْ أَعْطَى اللهُ نَبِيَّهُ حَقَّ الاتِّبَاعِ فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ وَيَنْهَى عَنْهُ، لأَنَّهُ . فِي ذَلِكَ . لاَ يَصْدُرُ عَنْ نَفْسِهِ بَلْ عَنْ تَوْجِيهِ رَبِّهِ، فَطَاعَتُهُ هِيَ طَاعَةٌ للهِ، وَلَيْسَتْ خُضُوعًا أَعْمَى لِوَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ"[47].

---

44 Al-Qaradāwī, (1994), *Mawqif al-Shaykh al-Ghazālī min al-Sunnah al-Nabawīyah*, p.388.

45 Al-'Awdah, Salmān ibn Fahd (1988). *ḥiwār hādi' ma'a Muḥammad al-Ghazālī*, al-Ṭab'ah : al-ūlá, Dhū al-Qa'dah, P. 89.

46 Al-Ghazālī (n.d.). *Laysa min Al-Islām*, p. 30.

47 Al-Ghazālī (n.d.). *Laysa min Al-Islām*, p. 27.

والركيزة الثانية: أن لا يوجد تعارض بين السنة والقرآن الكريم أبدا، وأكد محمد الغزالي ذلك بقوله ""إنه ليس هناك سُنَّةً تعارض حُكْمًا قرآنيًا ما، بل إنه من المستحيل أن يوجد حديث يعارض أحكام القرآن الخاصة، أو قواعدة العامة"[48].

4-3. تقديم ظاهر القرآن على خبر الآحاد: كان الغزالي رحمه الله يقدم ظاهر القرآن الكريم على أخبار الآحاد، حتى عرف عنه ذلك واشتهر بـ"رده لحديث الآحاد إذا خالف إيماءات القرآن الكريم"[49].

ومن مظاهر ذلك: استدلاله بقول الله تعالى ﴿**فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ**﴾ [البقرة: 230] على جواز تزويج المرأة نفسها اعتمادا على ظاهر اللفظ القرآني كباقي المدرسة العقلانية الحديثة، متعللاً بأن المرأة في أوروبا تباشر زواجها بنفسها ولها شخصيتها التي لا تتنازل عنها[50]، ورد أمام ظاهر النص وضغظ الواقع الحديث الصحيح الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم "أيما امرأة أنكحت نفسها فنكاحها باطل باطل باطل"[51]، وكانت حجته في رده الحديث الشريف مخالفة ظاهر النص القرآني.

4-4. اعتماده في التفسير على كلام علماء المدرسة العقلية الحديثة: كان محمد الغزالي رحمه الله شديد الإعجاب برواد المدرسة العقلية الحديث (جمال الدين الأفغاني، الإمام محمد عبده، الشيخ محمد رشيد رضا)، وقد كانت توجهاته الفكرية امتدادا لفكرهم، كما كان تفسيره مأخوذا من كلامهم أو معتمدا على أصولهم،

---

48 Al-Ghazālī (n.d.). *Laysa min Al-Islām*, p. 32.

49 Al-'Awdah, (1988). *ḥiwār hādi' ma'a Muḥammad al-Ghazālī*, p. 19.

50 Al-'Awdah, (1988). *ḥiwār hādi' ma'a Muḥammad al-Ghazālī*, p. 105.

51– أخرجه ابن ماجة في سننه، باب في الولي ، (برقم: 1879)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط (حديث صحيح، وصححه ابن معين، وأبو عوانة، وابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم، والبيهقي،...وأخرجه أبو داود (2083) من طريق سفيان الثوري، والترمذي (1127) من طريق سفيان بن عيينة، والنسائي في "الكبرى" (5373) من طريق يحيى بن سعيد الأنصاري، ثلاثتهم عن ابن جريج، بهذا الإسناد، وأخرجه أبو داود (2084) من طريق ابن لهيعة، عن جعفر بن ربيعة، عن الزهري، به، وهو في "مسند أحمد" (24205) عن ابن علية، عن ابن جريج، وله شواهده عند حديث ابن عباس في "المسند" (2261)، انظر تعليق الشيخ شعيب الأرنؤوط على سنن ابن ماجة، طبعة دار الرسالة، الطبعة الأولى، 1430هـ- 2009م، (3/ 78).

ومثال ذلك موافقة الغزالي رواد المدرسة العقلانية في الاعتراض بشدة على تلبس الجن بالإنسان وتحكمه على من أجازوا ذلك بقوله "هل العفاريت متخصصة في ركوب المسلمين وحدهم، لماذا لم يَشكُ ألماني أو ياباني من احتلال الجن لأجسامهم، إن سمعة الدين ساءت من شيوع هذه الأوهام بين المتدينين وحدهم، ...وما يرويه صاحب –آكام المرجان– أكثره خرافات وخيالات وإن ذكره ابن حنبل وابن تيمية وغيرهما"[52]، وهو في هذا الصنيع يخالف ظواهر النصوص القرآنية والنبوية لموافقة المدرسة العقلانية، وكذلك أنكر الشيخ الغزالي أحاديث سحر النبي صلى الله عليه وسلم والواردة في تفسير المعوذتين موافقاً في ذلك الشيخ محمد عبده حيث اعتبر السحر تخييلاً كما يفهم من القرآن الكريم فيما يظنون[53].

5. أسباب وقوع الشيخ فيما أُخذ عليه في التعامل مع السنة النبوية.

1.5– تكوينه الحديثي[54]:

تحصيل محمد الغزالي الحديثي استقاه من دراسته الأكاديمية في الأزهر الشريف في تخصص الدعوة والإرشاد، والتي لا تمكّنه من التخصص والتمكن في علم الحديث، وعليه فما تناوله وأشار إليه في هذا العلم هو وليد الدراسة والمطالعة العامة غير المتخصصة. يقول مثلا عن الموقف من حديث الآحاد:"لقد تخرجت في الأزهر من نصف قرن، ومكثت في الدراسة بضع عشرة سنة لم أعرف خلالها إلا أن أحاديث الآحاد يفيد الظن العلمي، وأنه دليل على الحكم الشرعي، ما لم يكن هناك

---

[52] Al-Ghazālī (2006). *Al-Islām Wālṭāqāt Al-mu'aṭṭilah*, Dār Nahḍat Miṣr, al-Ṭab'ah 27, p. 76.

[53] Al-Ghazālī (2006). *Al-Islām Wālṭāqāt Al-mu'aṭṭilah*, p. 59.

[54] – بل حتى في المجال الفقهي الذي يُعلي الشيخ من شأنه كثيرا في التعامل مع السنة –كما سيأتي – لا يُعدُّ الشيخ من الفقهاء المتخصصين ذوي الإنتاج الفقهي، وقد عدَّه الشيخ القرضاوي في الدفاع عنه في هذا الخصوص بأنه :"**فقيه نفس**". للوقوف على أهم مواضع الضعف الحديثي والفقهي بشكل مركز من كتابه (السنة النبوية).

Al-Qaraḍāwī (2000). *Al-Shaykh Al-Ghazālī*, p. 155; and Āl Al-Shaykh, Ṣāliḥ (1989). *Al-Mi'yār li 'Ilm Al-Ghazālī fī Kitābihi Al-Sunnah Al-Nabawiyyah*. n.p.

دليل أقوى منه"[55]، وهذا الذي لم يعرف الشيخ غيره في موضوع الآحاد رأيٌ من الآراء في المسألة، وفي هذا القول دلالة عن مبلغ بُعد الشيخ عن علم الحديث، بل ومن كلام الأصوليين وخلافهم في مسألة حجية حديث الآحاد؟!

وهو يعترف بأنه ليس متخصصًا في الحديث[56]، وغالب كلامه وكتابته ينطلق في التعامل مع السنة من منهج الأصوليين وطريقتهم — دون تحرير وتحقيق أيضًا – وليس من منهج المحدثين، وهو في كلامه كثير التطرق إلى السنة من حيث كونها مصدرا للتشريع، والوقوف على مكانتها من القرآن الكريم، وهذا من أهم مجالات اهتمامات الأصوليين وتناولهم للسنة النبوية. بل كان يذكر رحمه الله بعض الأمور التي تدل على عدم تعمقه في مصطلح الحديث، بل وعلوم الحديث بشكل عام، ومن ذلك:

- أنه ذكر أن كتاب الترغيب والترهيب للإمام المنذري من أمهات كتب الحديث، ومن المعلوم لدى الدراسين للسنة أن الكتاب المذكور ليس كذلك.
- أنه جعل نفي الشذوذ والعلة من شروط قبول المتن وحده، وهذا غلط يعرفه أي دراس لعلم الحديث والمصطلح؛ إذ انتفاء الشذوذ والعلة القادحة مشترط في السند والمتن معًا.
- كان جل الكتب التي يرجع إليها في الحديث هي الكتب الستة، ورياض الصالحين والمسند، واللؤلو والمرجان، وبعض الكتب الأخرى: كالترغيب وفتح الباري، وغيرها من الكتب العامة الشهيرة في الحديث[57].

ومن كان هذا مبلغ اطلاعه واهتمامه بعلوم الحديث لا يمكن له ولا يتيسر أن يخوض في الحكم على أحاديثها والكلام في عللها، وكان الأجدر به أن يترك ذلك

---

55 Al-Ghazālī (2001). *Al-Sunnah Al-Nabawīyah*, p. 74.

56 *Ibid.*, p. 76.

57 Ibrāhīm (2004). *Juhūd Al-Shaykh*, p. 71.

لأهلها المختصين والمتبحرين فيها ويرضى بأحكامهم، أو يخوض الغمار الذي خاضوه، ويتخصص فيما تخصصوا، ثم يدلي بدلوه حينها عن علم وثقة وبصيرة.

2.5- موقفه من حجية السنة ومكانتها، ودفاعه عنها:

الشيخ رحمه الله مجالٌ للسنة النبوية، ومقر بمكانتها وحجيتها، ومدافع عنها ضد أعدائها المناوئين لها من المستشرقين وتلامذتهم، وهو دائم الاستشهاد بها مع القرآن الكريم، وهو شديد الحب للنبي صلى الله عليه وسلم، وواسع الاطلاع على سيرته، وكان يرى أن السنة هي المصدر الثاني للتشريع، وهو دائم الربط بينها وبين القرآن الكريم بوصفه المصدر الأول، ودستور وقانون الإسلام، حيث يقول:"وقد اتفق المسلمون على أن القرآن هو المصدر الأول لتعاليم الإسلام، والمعجزة الباقية أبد الدهر لنبيه عليه الصلاة والسلام، كما اتفقوا على أن السنة المطهرة هي المصدر الثاني"[58].

ويقول:"والقرآن هو قانون الإسلام، والسنة هي تطبيقه، والمسلم مكلف باحترام هذا التطبيق، تكليفه باحترام القانون نفسه – أي القرآن – وقد أعطى الله نبيه حق الاتباع فيما يأمر به، وينهى عنه؛ لأنه في ذلك لا يصدر عن نفسه، بل عن توجيه ربه، فطاعته هي طاعة الله، وليست خضوعا أعمى لواحد من الناس، قال الله عز وجل: ﴿**مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا**﴾ [النساء: 80]، وقال: ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [النحل: 44]، وقال: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾ [الحشر: 7]"[59]، ولإيمانه بحجيتها ومكانتها فهو يدافع عنها متى ما صحت عنده، ويتهجم على من ينكر السنة لهوىً في نفسه، ويجعل دعوى الاكتفاء بالقرآن دون السنة من البدع المنكرة التي تهدد الإسلام بالخطر، وأنه يجب التصدي

---

58 Al-Ghazālī (n.d.). *Dustūr Al-Waḥdah*, p. 22.

59 Al-Ghazālī, Muḥammad (2003). *Fiqh Al-Sīrah*. Dār al-Shuruq, p. 31.

لمثل هذه الدعاوى الباطلة، حيث ينفي أن يكون القرآن وحده كافيا لمعرفة أحكام الله تعالى، وتبليغ رسالته. وقد وصف من يدعون إلى الاكتفاء بالقرآن دون السنة بالشواذ، وأن قولهم منكر قبيح، ودلالة خبال وفسوق[60].

ويبين ويبرر لنفسه ولمنهجه في رد بعض الأحاديث: بأن رده وتركه إنما هو لدليل أقوى رآه، وهو من قبيل التشدد في التحري والإثبات، وأنه لم يترك حديثا يعتقد صحته قط.[61] كما يصرح بأن إنكار السنن العملية المتواترة خروج من الدين، وأن إنكار المروي من سنن الآحاد لمحض الهوى عصيان مخوف العاقبة..وأن الولع بالتكذيب لا إنصاف فيه ولا رشد؟[62].

وقد دفع عن نفسه تهمة معاداة السنة – وحاشاه من ذلك – حيث حكى هذ فقال:"جاءني أحدهم يسألني بأدب: أنت فلان؟ قلت: نعم، قال: قرأت رسالة وُزعت علينا تصفك بأنك تهاجم السنة، وأنك مع الشيخ "أبي ريَّة" في تكذيب الأحاديث. قلت في سكون: وقعتْ هذه الرسالة في يدي. قال: ما رأيك بهذه التهم؟ قلت: ما رأيك أنت؟ هل قرأت لي كتبا؟ قال: نعم، قرأت كتابك "خلق المسلم"، قلت: في هذا الكتاب وحده أكثر من ألف حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وفي فقه السيرة وكتابين آخرين نحو ألفي حديث. فإذا أثبت رجل في عُشر مؤلفاته نحو ثلاثة آلاف حديث؛ فكيف يتهم بتكذيب السنة؟!"[63].

وكان موقفه من الأسانيد من الناحية النظرية في مواقع عديدة هو الدفاع عنها وعن أهميتها، والإشادة بجهود أئمة الحديث بخصوصها[64]. ويقول مشيدا بعلم الرجال ودراسة الأسانيد عند المسلمين"..والتاريخ لم يحك عن أمة من الأمم أنها احتفت

---

60 Al-Ghazālī, Muḥammad (1996). *Mushkilāt fī Ṭarīq Al-Ḥayāh Al-Islāmīyah*. Dār Nahḍah Miṣr wa Al-Nashr, p. 105.

61 Al-Ghazālī (1996). *Mushkilāt*, p. 105.

62 Al-Ghazālī, Muḥammad (n.d.). *Laysa min Al-Islām*, p. 36.

63 Al-Ghazālī, Muḥammad (2006). *Humūm Dā'īyah*. Dār Nahḍah Miṣr wa Al-Nashr.

64 Al-Ghazālī (n.d.). *Laysa min Al-Islām*, p. 35.

بآثار نبيها، واستقصتها وغربلتها، ووضعت أدق القوانين العلمية لقبولها مثل ما فعل المسلمون بتراث محمد صلى الله عليه وسلم، من قول وفعل وقضاء وتقرير، وليس في دين من الأديان، ولا مذهب من المذاهب هذا الوزن العجيب للأسانيد والمرويات، وهذه المحاكمة المنصفة لما ينقل عن صاحب الرسالة "[65]. كما كان للشيخ دفاع عظيم عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، ومن ضمن مباحثه الرد على موقفه من السنة النبوية.

6. أهم المآخذ على منهج الشيخ في التعامل مع السنة، وبيان منشئها وأسبابها. وفيه فرعان.

1.6– أهم المآخذ على الشيخ في منهج تعامله مع السنة.

إذا كان ما سبق نقله وتقريره هو موقف الشيخ من السنة ..فأين هي المآخذ على منهجه وتطبيقاته في التعامل مع السنة النبوية إذن؟ وجد الباحثان أن أبرز محاور ومجالات المآخذ عليه في منهجه في التعامل مع السنة هي:

1. اعتبار حديث الآحاد مفيدًا للظن دومًا، ورفض حجيته في إثبات العقائد على سبيل الاستقلال، بل حتى في إثبات بعض الأحكام العملية.[66]
2. ترديد دعوى أن المحدثين – إلا قليلا – كان اهتمامهم بالأسانيد أكثر من المتون؛ بسبب ضعف تحصيلهم الفقهي.[67] لذلك هو يمارس ويدعو إلى نقد المتون الثابتة في الصحيحين وغيرهما من منطلق ونظر فقهي.
3. الدعوة والعمل على تطبيق منهجه في رد الآحاد ونقد المتون حتى على أحاديث الصحيحين[68].

---

65 Al-Ghazālī, Muḥammad (2005). *Difā' 'an Al-Sharī'ah wa Al-'Aqīdah Ḍidda Maṭā'in Al-Mustashriqīn*. Dār Nahḍah Miṣr wa Al-Nashr, p. 60.

66 يقول:" ومن الخير أن نعلم: أن الفرض لا يثبت إلا بدليل قطعي، وأن التحريم لا يثبت إلا بدليل قطعي، وأن الأدلة الظنية لها دلالات أقل من ذلك!". Al-Ghazālī (2001). *Al-Sunnah Al-Nabawīyah*, p. 65.

67 *Ibid.*, p. 29; and Al-Ghazālī (n.d.). *Dustūr Al-Waḥdah*, p. 40.

68 Al-Ghazālī (2003). *Fiqh Al-Sīrah*, p. 13-14.

4. المسارعة في الطعن والكلام والتخطئة للرواة الثقاة والأئمة – حتى بعض الصحابة – وخاصة المحدثين وأهل الحديث من المخالفين[69].

هذه هي أهم محاور المآخذ على الشيخ وتنظيراتها وتطبيقاتها عنده كثيرة، وقد فصل فيها العديد الذين تناولوا هذا الجانب عنده بالدراسة والنقد – كما سبق التنويه–.

2.6– منشأ هذه المآخذ وأسبابها لدى الشيخ.

فإذا كانت هذه هي أهم المآخذ ومواضع الخلل في منهجية تعامله مع السنة النبوية؛ فما منشؤها وأسبابها عنده إذن؟ يرى الباحثان – من وجهة نظرهما – أن الخلل أتى عنده من الأسباب التالية:

أ– الأسباب الذاتية والناشئة عن الانتماء الفكري والمذهبي.

1– ضعف التكوين الحديثي والحصيلة العلمية المتخصصة في الحديث وعلومه، وأنه مع اعترافه بذلك عن نفسه – كما سبق النقل عنه – إلا أنه لم يقف عند حدود قدراته كما صنع الأئمة الفقهاء في تسليمهم واعترافهم ورجوعهم إلى أئمة الحديث وفرسان الميدان، بل أقحم نفسه – رحمه الله – في مجال ليس مجاله، وتحدث في الأحاديث قبولًا وردًّا دون أن يكون من أهل الاختصاص والتمكن؛ مما أوقعه في غالب المآخذ التي أخذت عليه. وكان تناوله لما تناوله من السنة النبوية وفق مناهج الأصوليين والفقهاء لا مناهج المحدثين، حيث ظهر فقره العلمي بخصوصها، يقول وهو يوضح مسلكه ومنهجه في قبول الأحاديث أو ردها: قوله:"إنني أطيل النظر في كتب السنة، معتقدا أن بها كنوزا ثمينة من تراث النبوة، وأستهدي بفطرتي في تجنب الضعيف وقبول الصحيح، وهي فطرة صقلتها التلاوة الدائمة لكتاب الله، والحب الصادق لهذا الوحي المبارك، والدراسة الحسنة لمناهج الفقهاء الأربعة، ومن يليهم من

---

69 للوقوف على نماذج من تتبُّع ذلك من كتابه (السنة النبوية) .Āl Al-Shaykh (1989). *Al-Mi'yār li 'Ilm*.

أهل الذكر وقادة الفكر. ومن هنا ابتعدت عن أحاديث تركها أبو حنيفة ومالك وغيرهما، وإن رواها المشتغلون بجمع الحديث"[70]

وعجيب من الشيخ أن يقعِّد ويؤصّل لنفسه ولغيره الحكم على الحديث بالاستهداء بالفطرة المصقولة بطول قراءة القرآن، والاطلاع على مناهج الفقهاء وقادة الفكر؟! فأين شروط ومناهج أهل الشأن والتخصص من أئمة الحديث ونقاده وجهابذته؟!

2- انتماؤه للمدرسة العقلية الحديثة وأخذه بأهم ملامح منهجها ومقولاتها تجاه السنة دون تمحيص وتقد: كتقديم العقل على النقل عند التعارض، وكالموقف من أحاديث الآحاد في العقائد حيث يقول مثلا:"فكيف يقال في حديث الآحاد: إنه يفيد عقيدة، وهو لا يفيد حكما بطريق اليقين؟ ولولا أن الأحكام الشرعية تؤخذ بالظن؛ ما كان يعمل بحديث الآحاد..إنه يفيد الظن...ونحن ليست لدينا عقيدة مأخوذة من حديث آحاد أبدًا..فالقول بأن حديث الآحاد تبنى العقائد وتفيد اليقين قول غير صحيح، وما يقوله بعضهم في هذا مرفوض، ولا يمكن بناء عقيدة على أحاديث الآحاد، خاصة وأن العقائد قد تكفل بها القرآن...فإنه يمكن أخذ أحاديث الآحاد في العقائد شارحة ومبينة لما تواتر في الكتاب والسنة"[71].

3- تأثره الطبيعي بنشأته وتكوينه العلمي الأزهري الأشعري ومناهج المتكلمين وبمشائخه وأساتذته، وخصوصا في موضوع الموقف من أحاديث الآحاد في إثبات العقائد.

ب- أخذه بمناهج أصولية قديمة وتوسيعها، وإعماله لها بدون ضوابط دقيقة وواضحة.

---

70 Al-Ghazālī (2001). *Al-Sunnah Al-Nabawīyah*, pp. 76-77.

71 Al-Ghazālī, Muḥammad (2005). *Kayfa Nata'āmalu ma'a Al-Qur'ān*. Dār Nahḍah Miṣr wa Al-Nashr, pp. 115-116.

الشيخ كان تناوله وتعامله مع السنة وفق منهج الأصوليين والفقهاء لا المحدثين – رغم كونه ليس أصوليا وفقيها متخصصا – فكان ذلك سببا رئيسا في إشكالات منهجه والمآخذ عليها، ثم إنه بالإضافة إلى ذلك ذهب إلى أخذ مناهج أصولية قديمة – لدى الأحناف بدرجة أساسية – وعمل على تفعيلها وإعمالها وتوسيعها بلا ضوابط دقيقة وواضحة؛ ما أدى إلى ما أخذ عليه، ومنها:

1-ضرورة عرض الحديث على القرآن قبل الحكم عليه قبولًا أو ردًّا!

وهو في هذا السبب آخذ بمنهج الأحناف الذي كان مذهب الشيخ الفقهي التكويني؛ فالقول: بألا يكون الحديث معارضا لظاهر القرآن هو مذهب الحنفية، يقول الإمام السرخسي في تقرير مذهبهم في اشتراط ألا يخالف خبر الواحد ظاهر القرآن:" إذا كان الحديث مخالفا لكتاب الله تعالى فإنه لا يكون مقبولا، ولا حجة للعمل به: عاما كانت الآية، أو خاصا، نصًّا أو ظاهرًا عندنا، على ما بيَّنا أن تخصيص العام بخبر الواحد لا يجوز ابتداء، وكذلك ترك الظاهر فيه"[72]. ويقرر علاء الدين البخاري الحنفي دليلهم الرئيس لهذا الرأي: بأن القرآن بل وكل دليل قطعي: كالسنة المتواترة، والإجماع أدلة قطعية، وخبر الواحد دليل ظني، ولا يقدم الظني على القطعي. وأما إذا خالف خبر الواحد عموم القرآن أو ظاهره فهو محل خلاف داخل المذهب الحنفي في قبوله أو رده.[73].

وهذا هو عين ما يستدل به محمد الغزالي رحمه الله في اتباع هذا النهج والقول، وإعادة تفعيله بتوسع بلا ضوابط ولا منهجية واضحة حيث يقول:"حديث الآحاد يفيد الظن العلمي، وأنه دليل على الحكم الشرعي، ما لم يكن هناك دليل أقوى منه، والدليل الأقوى قد يؤخذ من دلالات القرآن القريبة والبعيدة، أو من السنة

---

72 Al-Sarakhsī, Shams Al-Āimmah Muḥammad Ibn Aḥmad (n.d.). *Uṣūl Al-Sarakhsī* (Vol. 1). Dār al- Ma'rifah, p. 364.

73 Al-Bukhārī, 'Alā' Al-Dīn 'Abd Al-'Azīz Ibn Aḥmad (n.d.). *Kashf Al-Asrār Sharḥ Uṣūl Al-Bazdawī* (Vol. 3). Dār Al-Kitāb Al-Islāmī, p. 8-9.

المتواترة، أو من عمل أهل المدينة"[74]، كما يستند في رد حديث الآحاديث لما هو أقوى منه بعمل مالك في رده بعمل أهل المدينة[75]، حيث يقول:"يرى الأحناف أن الأقوى هو ظاهر القرآن مثلا، أو القياس القطعي، ويرى المالكية أن الأقوى هو عمل أهل المدينة، وبالتالي تركوا أحاديث أو ترك مالك أحاديث أكثر مما ترك أبو حنيفة"[76]. ويقول أيضا:"إن الأحاديث التي تركها الأئمة لا حصر لها..بل هناك أحاديث كثيرة يرى بعض العلماء أنها صحيحة، ويرى بعضهم أنها غير صحيحة، والشيخ رشيد رضا قال: إنه لابد من إعادة النظر في أحاديث الفتن"[77].

ويستند في منهجه هذا بموقف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في الرد على بعض الصحابة في رواياتهم بالاحتجاج بالقرآن الكريم فيقول:"..وعندي أن ذلك المسلك الذي سلكته أم المؤمنين أساس لمحاكمة الصحاح إلى نصوص الكتاب الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه..من أجل ذلك كان أئمة الفقه الإسلامي يقررون الأحكام وفق اجتهاد رحب يعتمد على القرآن أولًا، فإذا وجدوا في ركام المرويات ما يتسق معه قبلوه، وإلا فالقرآن أولى بالاتباع"[78].

ويقول في تقديم إيماءات القرآن الخفية على خبر الواحد:" توجيهات القرآن الصريحة، أو إيماءاته الخفية يجب أن تكون سياجا لا يُخترق، ويجب أن ترجّح بكل توجيه آخر مهما صحت روايته، وذلك حق القرآن وحده؛ فإن الله أضفى عليه من الحفظ والخلود ما لم ينله غيره"[79].

---

74 Al-Ghazālī (2001). *Al-Sunnah Al-Nabawīyah*, p. 74.

75 طبعا الاستدلال بعمل مالك هنا لا وجه له؛ لأن عمل مالك يعد من قبيل رد الرواية برواية أقوى وأوثق عنده وهو عمل أهل المدينة المتوارث عن النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته، وهو من قبيل الترجيح بين الروايات والآثار المنقولة، وليس له صلة بقريب أو بعيد بموضوع الرد بناء على عرضه على دلالات وإيماءات القرآن القريبة أو البعيدة. النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته، وهو من قبيل الترجيح بين الروايات والآثار المنقولة، وليس له صلة بقريب أو بعيد بموضوع الرد بناء على عرضه على دلالات وإيماءات القرآن القريبة أو البعيدة.

76 Al-Ghazālī (2005). *Kayfa Nata'āmalu*, p. 114.

77 *Ibid.*

78 Al-Ghazālī (2001). *Al-Sunnah Al-Nabawīyah*, p. 22-23.

79 *Ibid.*, 73.

فتلقف محمد الغزالي أصل هذا مسلك الأحناف، وتوسع فيه وذكر له أمثلة تطبيقية جديدة – وهو فيها أو في بعضها متأثر بمنهج المدرسة العقلية الحديثة – لم يطبِّق عليها الأحناف المتقدمون قاعدتهم ومنهجهم عليها. فهم جعلوا ضابط ما يردون به الرواية هو:(**المخالفة لما هو مقطوع به، أو ظاهر الدلالة من القرآن الكريم**)، فأتى الشيخ ووسع هذا الضابط بما لا يمكن ضبطه مطلقا وهو: **مخالفة الحديث لدلالات أو إيماءات القرآن القريبة أوالبعيدة؟!** فكيف يمكن أن يُضبط هذا؟ ومعلوم أن كل صاحب بدعة وشبهة عَظُمت أو دقّت من أهل القبلة إلا ويستند في بدعته وباطله إلى شيء من كتاب الله، فما الذي يمنع أن يُطبِّق على منهجه وضلالته أنه متبع لدلالة من دلالات أو إيماءات القرآن البعيدة؟! إن الأخذ بهذا المنهج وتطبيقه بهذا الشكل والصورة الواسعة غير المنضبطة هو فتح لباب شر، وتسويغ لكل من يريد رد ما يشاء من السنة؛ بدعوى مخالفتها لدلالات أو إيماءات القرآن البعيدة؟! وهو ما يتبعه كثير من أهل الضلال المعاصرين من القرآنيين، أو من غلاة العقلانيين، ومن الحداثيين: كصنيع شحرور مثلًا.

2- استحداث ضابط وشرط جديد من شروط من له حق تصحيح الحديث والكلام عليه وهو: أن يكون فقيها!

وهنا أيضا يستند الشيخ إلى المذهب الحنفي في شرطٍ انفردوا به من شروط قبول رواية الراوي لخبر الآحاد والمقصود أساسا بشرطهم هذا هو الصحابي: وهو أن يكون فقيها فيما إذا روى ما يخالف الأقيسة – أي قواعد الشريعة وليس القياس الأصولي الجزئي- يقول الإمام السرخسي في تقرير هذا الشرط بعد أن ضرب مثالا بأبي هريرة رضي الله عنه وبعض مروياته التي ناقشه فيها بعض الصحابة من الفقهاء وردوها: كأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وابن عباس رضي الله عنهم ثم قال:" فلمكان ما اشتهر من السلف في هذا الباب قلنا: ما وافق القياس من روايته فهو معمول به، وما خالف القياس: فإن تلقَّته الأمة بالقبول فهو معمول به، وإلا فالقياس

الصحيح شرعا مقدم على روايته فيما ينسد باب الرأي فيه. ولعل ظانا يظن أن في مقالتنا ازدراء به، ومعاذ الله من ذلك؛ فهو مقدم في العدالة والحفظ والضبط كما قررنا.."[80].

فالحنفية هذا مقصود شرطهم ومجاله، وليس له علاقة بمن يحكم على الحديث قبولًا وردًّا ممن هو أهل لذلك: كأئمة الحديث والعلل والرجال، فأتي محمد الغزالي وأنزل هذا الشرط وأعمله على من يحكم على الأحاديث من حيث المتون فقط دون الإسناد – متأثرا بالتفريق المتخيَّل بين السند والمتن الذي منشؤه المستشرقون – ولم يكتف باشتراط أن يكون من الفقهاء، بل وسع من له الحق ليدخل فيه علماء التفسير بل والمتكلمون؟! حيث يقول:"اكتشاف الشذود والعلة في متن الحديث ليس حكرًا على علماء السنة، فإن علماء التفسير والكلام والفقه مسؤولون عن ذلك، بل ربما ربَت مسؤوليتهم على غيرهم"[81]، ويعلل لوجوب مشاركة الفقهاء وغيرهم في تعليل الحديث ونقد متونها فيقول:"إن التعاون في ضبط التراث النبوي مطلوب، ومتن الحديث قد يتناول عقائد وعبادات ومعاملات يشتغل بها علماء المعقول والمنقول جميعًا، وقد يتناول الحديث شؤون الدعوة والحرب والسلام، فلماذا يُحرم علماء هذه الآفاق المهم من النظر في المتون المروية؟ وما قيمة حديث صحيح السند عليل المتن؟!"[82]

وهذا الرأي في الحكم على الأحاديث تصحيحا وتضعيفا، وأن من شرط من يتصدى له أن يكون فقيها رأيٌ لم يُسبق إليه الشيخ – فيما نعلم – والمنقول عن كثير من فقهاء السلف عكس هذا حيث يسلِّمون للمحدثين بالمرجعية، وأنهم يتابعونهم في حكمهم على الأحاديث والآثار، فأتى الشيخ رحمه الله وعكس الأمر غفر الله له! لا شك أن الجمع بين الإمامة والتبحّر في الحديث والفقه هو المقام

---

80 Al-Sarakhsī (n.d.). *Uṣūl Al-Sarakhsī* (Vol. 1), p. 239-240.

81 Al-Ghazālī (2001). *Al-Sunnah Al-Nabawīyah*, p. 20.

82 *Ibid.*, p. 21.

الأعلى والأجلّ، وقد حصل للعديد من العلماء في السلف والخلف، ولكن الانفراد والتخصص في كل واحد منهما هو الغالب على علماء الأمة قديمًا وحديثًا، وكل أصحاب قسم مقرون بالتقدم والتخصص في القسم والفن الذي يجيده القسم الآخر، ولم يشترط أحد قبل الشيخ هذا الشرط لمن يشتغلون بتصحيح الأحاديث وتضعيفها؛ استنادا إلى الفصل والتفريق المتخيل بين السند والمتن، وان اعتناء المحدثين غالبه كان مصروفا إلى السند دون المتن، وهي شبهة استشراقية وليس لها في تاريخ علم السنة ومصادرها عند السلف والخلف أصل ومرجع.

3- إعماله لمسألة أصولية شهيرة وهي: التفريق بين السنة التشريعية وغير التشريعية.[83]

فقد عرض صاحب دراسة (جهود الشيخ الغزالي في الحديث والفقه)[84]، لآراء الأصوليين في المسألة وتقسيماتهم لأفعال الرسول: الجبلّية الطبيعية، أو التي ظهر فيها قصد التعبد والقربة، والتي لم يظهر فيها قصد فيها التعبد والقربة، وبيان ما الذي يدخل في كل قسم؟ وضرب الأمثلة والنقاشات حولها، ثم عرض لرأي محمد الغزالي في المسألة، وضرب عديد الأمثلة من تطبيقاته التي كان بعضها سببًا للغط والهجوم على الشيخ في موقفه من السنة. وهو في أصلها متبع لا مبتدع، وفي بعض تطبيقاته مجتهد قد سُبق لمثله: مثل كلامه في بعض آداب الطعام واللباس للرجال[85]، جاعلا ذلك من قبيل السنة غير التشريعية التابعة للعوائد التي كانت سائدة في عصر النبوة.

---

83 للوقوف على التفاصيل في التفريق بين أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله بكونه تشريعا، أو حكما قضائيا، أو بصفة إماما وقائدا سياسيا من كتب الأصوليين المتقدمين ينظر: **الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام**، للإمام أبو العباس شهاب الدين المالكي الشهير بالقرافي، تحقيق: عبد الفتاح أبوغدة، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، ط2، 1995م. ومن كتب المعاصرين التي فصلت في أفعال الرسول ودلالتها على التشريع من عدمه ينظر: **أفعال الرسول ودلالتها على الأحكام الشرعية**، للدكتور محمد بن سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط6، 2003م. علما بأن ضوابط التفريق بين التشريعي وغير التشريعي ليست مضبوطة ولا واضحة عند العلماء والباحثين، وهل محل خلاف واضطراب شديد.

84 Ibrāhīm (2004). *Juhūd Al-Shaykh*, p. 206-234.

85 Al-Ghazālī (2001). *Al-Sunnah Al-Nabawīyah*, p. 102-106.

ولكن البيئة والزمان الذي عاش فيه الشيخ رحمه الله، مع جوانب القصور في التخصص الحديثي والفقهي، إضافة إلى حدّة عباراته والتي تصل أحيانا إلى الطعن والتسفيه للآراء التي تخالف رأيه وتطبيقاته؛ كان لها أثر كبير في حدة السجال واللغط حول آرائه ومواقفه في هذه المسائل.

هذه الأسباب هي أهم الأسباب – بحسب ما توصّلنا إليه – التي جعلت الشيخ رحمه الله يقع فيما وقع فيه من كبوات وعثرات أو أخطاء في التعامل مع السنة النبوية، وأوجدت عنده هذا الخليط العجيب من تعظيمٍ للسنة النبوية وتقرير لحجيتها، والدفاع عنها أمام أعدائها، وفي نفس الوقت التعامل مع بعض نصوصها الثابتة في الصحيحين وغيرهما بالرد والتأويل بمنحى عقلي، ومن تهجّم وطعن أحيانا على رواتها الثقات وعلماء الأمة الأثبات – غفر الله له–

7. الخاتمة وأهم النتائج

1) أن المدرسة العقلية الحديثة متبعةٌ لمدرسة الاعتزال في المنهجية العقلية، وتقديم العقل على النقل، واعتبار آحاديث الآحاد مفيدة للظن مطلقًا، وردها إذا خالفت العقل، كما كان للمستشرقين تأثير واضح على بعض تلاميذ هذه المدرسة في ترديد مطاعنهم وشبههم حول السنة.
2) أن محمد الغزالي من أتباع هذه المدرسة المتأثرين بها بشدة في الاتجاه العقلي والموقف من السنة، بل إن هناك من عده من أعلامها، وذلك ما لا يوافق عليه الباحثان.
3) أن محمد الغزالي مجلٌّ للسنة النبوية ومقر بمكانتها وبكونها المصدر الثاني للتشريع، ومدافع عنها ضد أعدائها وخصومها.
4) أن من أهم مجالات المآخذ على الشيخ في منهجية التعامل مع السنة: أ- قوله بظنية حديث الآحاد بشكل مطلق، ومن ثم ردها في إثبات العقائد، وحتى الأحكام على سبيل الاستقلال. ب- دعوته إلى نقد المتون من

قبل الفقهاء وغيرهم؛ بدعوى أن المحدثين اهتموا بالسند أكثر من المتن، واتهامهم بالقصور الفقهي. ج- طعنه وكلامه القاسي على بعض الرواة والأئمة الثقات والمخالفين له بدون مستند.

5) أن منشأ وأسباب هذه المآخذ على الشيخ هي: 1- أسباب ذاتية ناشئة عن ضعف تحصيله الحديثي بل والأصولي والفقهي، مضافا إليه انتماؤه الفكري والمذهبي المتأثر بشدة بالمدرسة العقلية الحديثة، ومذهبه الفقهي الحنفي. 2-أخذه بمناهج أصولية قديمة وتوسيعه وإعماله لها بدون ضوابط دقيقة وواضحة، وهي: أ- ضرورة عرض الحديث على القرآن قبل الحكم عليه. ب- اشتراط أن يكون من يحكم على الحديث فقيها.ج- إعماله لمسألة أصولية شهيرة هي: (التفريق بين السنة التشريعية وغير التشريعية).

6) أن القول بأن حديث الآحاد يرد إذ خالف دلالات أو إيماءات القرآن القريبة أو البعيدة يعد أخطر مقولات الشيخ وأسوأها نتائج وآثارًا، وكذا دعوته إلى نقد متن الحديث من قبل الفقهاء وغيرهم، بل واشتراط الفقه فيمن يتصدى للحدكم على الحديث، وذلك ما لم يُسبق إليه الشيخ – فيما يعلمه الباحثان-.

المصادر والمراجع

REFERENCES

_____ (1993). *Al-A'māl Al-Kāmilah li Imām Al-Shaykh Muḥammad 'Abduh*. Dār Al-Shurūq.

_____ (2001). *Al-Sunnah Al-Nabawīyah bayna Ahl Al-Fiqh wa Ahl Al-Ḥadīth*. Dār Al-Shurūq.

_____ (2003). *Fiqh Al-Sīrah*. Dār al-Shurūq.

_____ (2005). *Difâ' 'an Al-Sharī'ah wa Al-'Aqīdah Ḍidda Maṭā'in Al-Mustashriqīn*. Dār Nahḍah Miṣr wa Al-Nashr.

_____ (2005). *Kayfa Nata'āmalu ma'a Al-Qur'ān*. Dār Nahḍah Miṣr wa Al-Nashr

_____ (2005). *Mi'at Su'āl 'an Al-Islām*. Dār Nahḍah Miṣr wa Al-Nashr.

_____ (2006). *Humūm Dā'īyah*. Dār Nahḍah wa Al-Nashr.

_____ (n.d.). *Al-Ghazw Al-Thaqāfī Yamtaddu fī Farāghinā*. Dār al-Shurūq.

_____ (n.d.). *Dustūr Al-Waḥdah Al-Thaqāfīyah*. Dār Al-Shurūq.

_____ (n.d.). *'Ilal wa 'Adawiyah*. Dār al-Shurūq.

_____ (n.d.). *Laysa min Al-Islām*. Dār al-Shurūq.

_____*(2006). Al-Islām Wāltāqāt Al-mu'aṭṭilah, Dār Nathat Misr.*

Al-'Awdah, Salmān Ibn Fahd (1989). *Ḥiwār Hādi' ma'a Muḥammad Al-Ghazālī*. Dār Al-Hijrah, 1410.

Al-'Umarī, Akram Ḍiyā' (n.d.). *Mawqif Al-Istishrāq min Al-Sunnah Al-Nabawīyah*, n.p.

Al-'Affānī, Sayyid Ibn Ḥusayn (2006). *Riyāḍ Al-Jannah fī Al-Radd 'alā Al-Madrasah Al- 'Aqlīyah wa Munkari Al-Sunnah*. Dār al-'Affānī.

Al-Amīn, Al-Ṣādiq (1998). *Mawqif Al-Madrasah Al-'Aqlīyah min Al-Sunnah Al-Nabawīyah*. Maktabah al-Rushd Nāshirun.

Al-Ashqar, Muḥammad Ibn Sulaymān (2003). *Af'āl Al-Rasūl wa Dalālatuhā 'alā Al-Aḥkām Al-Shar'īyah*. Mu'assasah Al-Risālah wa Al-Nashr wa Al-Tawzī'.

Al-'Awdah, Salmān ibn Fahd (1988), *hiwār hādi' ma'a Muhammad al-Ghazālī*, Al-ūlá, Dhū al-Qadah.

Al-Bukhārī, 'Alā Al-Dīn 'Abd Al-'Azīz Ibn Aḥmad (n.d.). *Kashf Al-Asrār Sharḥ Uṣūl Al-Bazdawī*. Dār al-Kitāb al-Islāmī n.d.

Al-Dhahabī, Muḥammad Ḥusayn (n.d.). *Al-Tafsīr wa Al-Mufassirūn*. Maktabah Wahbah.

Al-Ghazālī, Muḥammad (1996). *Mushkilāt fī Ṭarīq Al-Ḥayāh Al-Islāmīyah*. Dār Nahḍah Miṣr wa Al-Nashr.

Al-Jundī, Anwar (1978). *Al-Yaqaẓah Al-Islāmīyah fī Muwājahah Al-Isti'mār*. Dār Al-I'tiṣām.

Al-Qāḍī 'Abd Al-Jabbār Al-Mu'tazilī (2017). *Faḍl Al-I'tizāl wa Ṭabaqāt Al-Mu'tazilah wa*.

Al-Qaraḍāwī, Yūsuf (2000). *Al-Shaykh Al-Ghazālī Kamā 'Araftuhu Riḥlah Niṣf Qarn*. Dār al-Shurūq.

Al-Qaradāwī, Yūsuf Abd Allāh (1994), *Mawqif al-Shaykh al-Ghazālī min al-Sunnah al-Nabawīyah*, Majallat Markaz Buhūth al-Sunnah wa-al-sīrah 8.

Al-Qarāfī Abū Al-'Abbās Shihāb Al-Dīn (1995). *Al-Iḥkām fī Tamyīz Al-Fatāwā 'an Al-Aḥkām wa Taṣarufāt Al-Qāḍī wa Al-Imām* ('Abd Al-Fattāḥ Abū Ghudah, Ed.). Dār Al-Bashā'ir Al-Islāmīyah li Al-Nashr wa Al-Tawzi'.

Al-Rūmī, Fahd Ibn 'Abd Al-Raḥmān (1983). *Manhaj Al-Madrasah Al-'Aqlīyah Al-Ḥadīthah fī Al-Tafsīr*. Mu'assasah Al-Risālah.

Al-Sarakhsī, Shams Al-A'immah Muḥammad Ibn Aḥmad (n.d.). *Uṣūl Al-Sarakhsī*. Dār Al-Ma'rifah.

Al-Sibā'ī, Muṣṭafā Ibn Ḥusnī (1982). *Al-Sunnah wa Makānatuhā fī Al-Tashrī' Al-Islāmī*. Al-Maktab Al-Islāmi.

Al-Sirjānī, Rāghib (2010). Muḥammad Al-Ghazālī Al-Dā'iyah Al-Mujāhid. *Islam Story*. https://islamstory.com.

Annonymous (n.d.). Majmū'ah min Al-Kitāb wa 'alā Ra'sihim Rashīd Riḍā wa Ghayrihi min Al-Kitāb wa Al-Muallifīn. *Majalah al-Manār*, 19 (Vol. 25).

Aswad, Muḥammad 'Abd al-Razzāq (2008). *Al-Ittijāhāt Al-Mu'āṣirah fī Dirāsah Al-Sunnah Al-Nabawīyah fī Miṣr wa Bilād Al-Shām*. Dār Al-Kalim Al-Ṭayyib.

Ibrāhīm, Mas'ūd Ṣabrī (2004). *Juhūd Al-Shaykh Muḥammad Al-Ghazālī fī Al-Ḥadīth wa Al-Fiqh*. Kulīyah Dār al-'Ulūm. Jāmi'ah Al-Kāherah.

Imārah, Muḥammad (1992). *Al-Shaykh Muḥammad Al-Ghazālī: Al-Mawqi' Al-Fikrī wa Al-Ma'ārik Al-Fikrīyah*. Al-Hay'ah Al-Miṣrīyah Al-'Āmmah li Al-Kitāb.

Khalaf, Najm 'Abd al-Raḥīm (1989). *Naqd Al-Matan bayna Ṣinā'at Al-Muḥaddithīn wa Maṭā'in Al-Mustashriqīn*. Maktabah Al-Rushd.

Mubāyanatihim li Sā'ir Al-Mukhālifīn (Fu'ād Sayyid, Ed.), Dār Al-Fārābi.

Rashīd Riḍā, Muḥammad Rashīd Ibn 'Alī Riḍā (1990). *Tafsīr al-Manār: Tafsīr Al-Qur'ān Al-Ḥakīm*. Al-Hay'ah Al-Miṣrīyah Al-Āmmah li Al-Kitāb.

Tammām, Aḥmad. *Al-Ghazālī Fāris Al-Da'wah Al-Balīgh. Islam Online*. https://archive.islamonline.net/?p=8945.